تتمة ص ١٠

دلت التجربة الملموسة ان العمليات الاسرائيلية ضد المقاومة لن تستطيع حسم الموقف مهما بلغ حجمها، ومهما تزايدت كثافتها . لذلك كان لا بد لاسرائيل من دفع العناصر الرجعية الحاقدة ، لافتعال الحوادث بغية ايقاع البلاد بنيران حرب اهلية ، تدخل السلطة طرفا فيها ، لخلق « ايلول لبناني » ، يؤدي الى تصفية المقاومة ، او على اقل تقدير شل فعاليتها وارباكها واشغالها في قضايا المواجهة لتخفيف وطأة ضرباتها التي سببت اضطرابا وغليانا وقلقا في المجتمع الصهيوني .

المقدمات التي ادت الى الصدام والخلفيات التي تحكمت بافتعاله

لقد اظهرت القيادة العميلة لحزب الكتائب حرصا شديدا على الاستمرار في خلق المشاكل والمتاعب لحركة المقاومة الفلسطينية منذ اليوم الاول لوجودها على الساحة اللبنانية ، فقد كان حضورها دائما في كل المشاكل التي تم افتعالها ، وليست الفترات التي قضتها المقاومة بدون مشاكل وصعاب ، الا فترات هدنة مؤقتة كانت تجري فيها العناصر العميلة استعداداتها لاقتناص الفرصة الملائمة لاثارة الفتنة واثارة التوتر لضرب المقاومة .

ومن الملاحظ بجلاء ان هذه الاستعدادات تتصاعد وتتزايد حدتها وكثافتها في ظروف اشتداد الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية، في سبيل تحقيق الاهداف التي تسعى للوصول اليها . ولا شك ان تصاعد استفزازات واستعدادات الحزب الفاشي الكتائبي في الاونة الاخيرة ، انما ينسجم مع اشتداد الهجمة الامبريالية . فبعد ان حققت الامبريالية الامريكية اهدافها المرحلية الاولية على طريق التسوية السياسية الشاملة ، بفك ارتباط القوات المتحاربة على الجبهتين المصرية والسورية ، اطمأنت الى ان اسباب التوتر قد زالت ، وان القضاء شبه التام على عناصر تفجير الموقف العسكري قد تم لذلك توجهت الى العمل بهدوء لتسيير دفة التسوية السياسية وفق مخططها الهادف الى ايجاد تسويات سياسية استسلامية منفردة على الجبهات العربية لضمان سيطرتها الكاملة على مراحل التسوية السياسية ، ولكي تتاح لها الفرصة الكافية لتصفية البذور الثورية في المنطقة العربية بشكل مترافق مع مراحل التسوية الاستسلامية .

فالامبريالية الامريكية وحلفاءها ، الذين يدركون ان هناك بعض الصعوبات التي ما زالت تعترض قبول قيادة منظمة التحرير الفلسطينية تقديم تنازلات كبيرة في ميادين المساومات ، وفيما يتعلق بكيفية حضورها مؤتمر جنيف ، يعملون الان على اتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها تذليل هذه العقبة، بحيث تأتي القيادات البرجوازية المستسلمة الى المؤتمر وهي مستعدة لقبول شروط حضورها مؤتمر جنيف ، ومستعدة لتقديم تنازلات كبيرة على حساب مصلحة الجماهير الفلسطينية .

ليس سوى مشروع حرب خامسة ، مشروع لا يراه الا بعملية قيصرية ، ذلك في منطق الاشياء ومنطق الصراع . فاذا كان تحرير القنيطرة مثلا وقناة السويس ، قد تطلب حربا مدمرة تدافعت الدبابات والطائرات فيها بالالاف ، ناهيك بسلاح النفط الذي هز العالم من اقصاه الى اقصاه ، اذا كان التحرير الجزئي قد تطلب كل هذا الجهد ، فكم يجب ان يكون الجهد مضاعفا لكي يفرض الكيان الفلسطيني على العقل الاسرائيلي وعلى العالم قبله بطبيعة الحال . « فالمعركة الدبلوماسية التي تدور رحاها الان لا تدعو الى التفاؤل وليست هي بالبساطة التي تعكسها المواقف العربية عندما توحي للناس بان كل شيء صار ممكنا ومستطاعا بعد حرب تشرين » .

وهكذا يبدو واضحا ، ان بيار الجميل وحزبه، يريان ان مسالة اقامة الكيان الفلسطيني مسالة تحتاج الى جهود ضخمة اكثر من تلك الجهود التي بذلت في حرب تشرين . ولهذا ، فان على قيادة منظمة التحرير ان تقدم التنازلات تلو التنازلات ، لكي يكون بالمستطاع اخذها بعين الاعتبار في مسالة التسوية السياسية الاستسلامية ، التي تكفل امن اسرائيل وحدودها ، وتكفل استمرارية المصالح الامبريالية دون اي تهديد . وبما ان التنازلات المطلوبة ، ليس من اليسير الحصول عليها ، فان الفاشيون الكتائب اخذوا على عاتقهم تنفيذ مخطط الامبريالية الامريكية واسرائيل ، لاضعاف المقاومة واستمرار استنزاف قواها لارغامها على القبول بالشروط الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية قبولا تاما .

وبما ان ذلك البيان لم يكن سوى مدخلا لفتنة طائفية وحرب اهلية في لبنان ، وبداية لتنفيذ خطة كتائبية ـ رجعية امبريالية ـ صهيونية ، تستهدف تصعيد الحملة باتجاه التصادم مع المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ، فقد واجهته الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ومعها الشارع الوطني اللبناني بما يستحقه من حزم وشجاعة .

مواصلة التحضير للفتنة

وتتابعت الاحداث بسرعة ، ووجدت القوى العميلة فرصتها في التظاهرة السلمية التي قام بها صيادو الاسماك في صيدا ، وكانت المجزرة التي ذهب ضحيتها العديد من الابرياء . وما ان اخذت

الازمة التي نشبت نتيجة الاحداث الدامية تسير باتجاه الانفراج ، بعد ان استطاعت الجماهير الوطنية وقف المؤامرة واحباط المخطط ، بفضل صمودها وتضحياتها ، حتى عاودت القوى الرجعية الانعزالية الطائفية وعلى رأسها الكتائب ـ حيث فشلت في دفع البلاد نحو الاقتتال والحرب الاهلية ـ تحركا مشبوها ومحموما لاثارة التوتر ، ولمنع تنفيذ المطالب الوطنية

الأنظمة العربية المستسلمة تواصل محاولاتها الهادفة لعقد التمثيل الأردني ـ الفلسطيني دبلوماسيا

التي اضطرت السلطات الرجعية الى الموافقة على بعضها تحت ضغط النهوض الوطني العارم الذي اجتاح البلاد بعد الحادث الاجرامي الذي اودى بحياة النائب الوطني السابق معروف سعد .

فالقوى الرجعية الطائفية العميلة لم تستطع تجاوز الهزيمة التي منيت بها ، فاخذت تضرب على وتر طائفية من جديد ، مركزة على موضوعة الجيش وقضية نقل الضباط .. الخ.

وفي هذه الاثناء تلقت عناصر من الحركة الوطنية اللبنانية رسائل وطرود ملغومة انفجر بعضها وضبط البعض الاخر . وقد كان المقصود منها اشاعة القلق والخوف والتوتر والفوضى لاستمرار حالة الاضطراب حيث لا يمكن فصلها عن الاجواء التي كانت سائدة منذ بداية الاحداث الى حين تجاوزها لدرء اخطار الفتنة .

الا ان هذه النكسات المتلاحقة التي منيت بها القوى الرجعية الانعزالية الطائفية ، لم تمنعها من استمرار السعي عبر الوسائل التي من شأنها ، دفع البلاد الى حرب اهلية تحصد الاخضر واليابس ، وتؤدي (حسب تصور المخطط الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي) الى ضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، لتحجمها ولتضعفها وصولا الى حلقة من حلقات هذا المخطط الرامي الى دفع قيادة منظمة التحرير الى القبول بصيغة تسيقية معينة مع النظام الرجعي الاردني ، خصوصا وان كافة اطراف التسوية تستعد الان للذهاب الى جنيف ، لحضور الدورة الثانية من دورات المؤتمر التسووي.

فمنذ مؤتمر الرباط والمحاولات جارية على قدم وساق لايجاد المخرج لاشتراك النظام الرجعي في التسوية . ولا شك ان المتتبع لسيل التصريحات والتأكيدات الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية ، والتحركات التي تلت هذه التصريحات والتأكيدات، يستطيع ان يدرك طبيعة المخطط الجاري تنفيذه الان . فقد اشار رسميو الامبريالية الامريكية في العديد من تصريحاتهم الى ان الحوادث التي تجري داخل العالم العربي بين الانظمة العربية والمقاومة الفلسطينية حول الكيفية التي سيجري فيها ادخال الفلسطينيين في عمليات التفاوض ، لن تجدي نفعا، وانهم ـ اي الامريكيين ـ يعتقدون ان اكثر الطرق فاعلية لجعل هذه العملية تبدأ ، وان تتناول الجانب الفلسطيني من المشكلة الشاملة ، هي اذا امكن جعل التفاوض يجري بين حكومة الاردن وحكومة اسرائيل .

والى جانب ذلك فقد صرح احد الرسميين الاردنيين بعد الزيارة الاخيرة التي قام بها كيسنجر الى عمان ، بان كيسنجر قد اوضح له بان «تسوية سياسية بدون الملك حسين لن تتم في الضفة الغربية » . لذلك فان تصريحات كيسنجر الاخيرة لدى مغادرته عمان حول اشتراك الاردن في مؤتمر جنيف ، واجابته بان « هذا الامر متروكا كليا الى الاردن » ليس سوى محاولة اظهار الامبريالية الامريكية وكأنها بعيدة عن الترتيبات والخطوات الجاري اتخاذها لاخراج الحلقة الخاصة بشأن التسوية المقترحة بالنسبة للضفة الغربية .

ومما يشير بوضوح الى نشاطات الامبريالية الامريكية ومخططاتها الهادفة الى عودة النظام الرجعي الاردني الى مسرح الاحداث السياسية ، لكي يلعب دورا في مسالة التسوية الاستسلامية ، هو الاجراءات التي اتخذها النظام الرجعي الاردني بعد زيارة كيسنجر الاخيرة . فقد اصدر الملك حسين مرسوما اجل بموجبه الى موعد غير محدد الانتخابات النيابية التي كان من المقرر ان تجري في شهر آب المقبل . ولم يحدد المرسوم اي سبب للتاجيل ، ولكن يبدو واضحا ان الملك ينتظر بروز دلائل اكثر وضوحا ، حول مصير الضفة الغربية قبل اجراء الانتخابات . وكان الملك قد اصدر مرسوما بحل المجلس النيابي في اواخر العام الماضي عندما اظهر موافقة على قرار مؤتمر القمة العربي الذي اعتبر منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . وفي الواقع لم يتخذ النظام الرجعي الاردني قراراته تلك عن قناعة تامة بمحتواها، لذلك فهو لا يترك فرصة تمر دون ان يؤكد فيها جنيف ، واجابته بان « هذا الامر متروكا كليا الى الاردن » ليس سوى محاولة اظهار الامبريالية الامريكية وكأنها بعيدة عن الترتيبات والخطوات الجاري اتخاذها لاخراج الحلقة الخاصة بشأن الضفة الغربية .

وممّا يرسخ القناعات ، بان خروج النظام الرجعي الاردني من اطار التسوية الاستسلامية يولد عقبة تعترض مسيرتها ، هو تلك التحركات والاتصالات الدبلوماسية التي اجراها ويجريها الاتحاد السوفياتي مع الاردن لاستئناف مؤتمر جنيف . وقد شجعت هذه الاتصالات النظام الرجعي الاردني ، حيث عاود تحركا واسعا على كافة الجبهات المحلية والعربية والدولية لضمان وجوده فاعلا ومؤثرا وضروريا في مؤتمر جنيف . وقد توجت الاتصالات والزيارات بلقاء كيسنجر ـ غروميكو في جنيف في منتصف شهر شباط الماضي .

وعلى العموم ، يبدو واضحا الان ، ان الاطراف الدولية المؤثرة في مسيرة التسوية واحلالها ، تعمل بنشاط لايجاد دور معين للنظام الرجعي الاردني في اطار مؤتمر جنيف يختلف عن الدور المرسوم لمنظمة التحرير الفلسطينية ، الذي ستكون مهمته تأمين استعادة (استعادة الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني » .. في حين يتولى النظام الرجعي الاردني بالتنسيق والتعاون مع قيادة منظمة التحرير مهمة التفاوض بشأن الضفة الغربية .

الى جانب ذلك يلاحظ ان هناك اهتماما من قبل الانظمة العربية المستسلمة بهذا الموضوع ، وهي تبذل جهودا واسعة النطاق للخروج بصيغة مقبولة ومعقولة لا تؤدي الى تفجير الموقف ، ولا الى ظهورها بمظهر المتخلي عن مقررات مؤتمر الرباط ، التي سهلت لقيادة منظمة التحرير التحرك باتجاه التسوية الاستسلامية من مواقع تبدو وكأنها قوية .

ولا شك ان اقتراح النظام السوري اقامة وحدة سياسية وعسكرية فلسطينية ـ سورية ، ليس الا خطوة تهدف الى احتواء منظمة التحرير الفلسطينية احتواء كاملا ونهائيا من ناحية ، ولحل المعضلة الخاصة بالصيغة التنسيقية بين النظام الرجعي الاردني ومنظمة التحرير من ناحية ثانية .. حيث اشار حافظ الاسد ان وفد النظام السوري ومنظمة التحرير الى مؤتمر جنيف سيكون وفدا موحدا .

وقد رحب النظام المصري بهذه الخطوة ، ودعا الى ضرورة « تكثيف التنسيق والتضامن العربي »، واعرب عن رغبته في الموافقة على توحيد الجهود ، والخروج بصيغة « وفد عربي موحد الى جنيف » . وهذا يوضح تماما المحاولات الجارية ، لادخال النظام الرجعي الاردني طرفا في مؤتمر جنيف ، دون ان يؤدي ذلك الى تحديد مسؤوليات النظام الرجعي الاردني ومنظمة التحرير في التسوية السياسية الاستسلامية في اطار الوفد الموحد .

ولم تقف محاولات النظام المصري عند هذه الحدود ، بل تجاوزتها ايضا ، عندما اقترح السادات في خطابه تمثيل جامعة الدول العربية للفلسطينيين في جنيف ، للخروج من المازق الذي يعترض طريق تمثيل الفلسطينيين في المؤتمر .

هذه الصورة بخطوطها العامة تشير الى الترتيبات التي يجري اتخاذها لحل المعضلة الاردنية ـ الفلسطينية في مؤتمر جنيف التسووي . وقد ساعدت هذه الخطوات النظام الرجعي الاردني على التقاط انفاسه مجددا ، والعودة الى ممارسة نشاطات سياسية محمومة وواسعة النطاق ، ليلعب دورا في تقرير الوضع السياسي في المنطقة . وبما ان مؤامرة التسووية السياسية الاستسلامية لا زالت تحتاج الى تذليل بعض العقبات التي تعترض طريق قبول قيادة منظمة التحرير الفلسطينية لهذه التنازلات المطلوبة ، فان المحاولات المتصلة ستستمر لتذليلها من خلال العنف المسلح ومن خلال الدبلوماسية المتحركة . فالقوى الرجعية الطائفية العميلة ستواصل محاولاتها الضغط على المقاومة لاستنزاف طاقاتها ، والانظمة العربية المستسلمة ستواصل محاولاتها الهادفة الى جر قيادة منظمة التحرير للتسليم بضرورة التنسيق مع النظام الرجعي الاردني بشكل من الاشكال المقبولة ، التي لا تسبب حرجا كبيرا للمنظمة .